

المفارقة بين التحليل والتأويل في شعر الأعور الشني العبدي

م. د. ديلم كاظم سهيل
رئاسة جامعة بغداد

د. ملاذ ناطق
جامعة النهريين

المقدمة :

إن الدعوة للنظر في شعر الأعور الشني لم تأت من فراغ وإنما لأنه يمثل صورة من صور التجربة الإبداعية في شعرنا القديم، من هنا كان لا بد لنا من وقفة للنظر في نصوصه وإبراز مكانتها الحقة وجماليتها.

ثم لا بد لنا من الانطلاق من نقطة معينة لتضيء خبايا شعر هذا الشاعر العريق الذي ضاع معظمه في رحلة الزمن الطويلة التي قطعها منذ العصر الأموي حتى يومنا هذا فبرزت في شعره ظاهرة لافتة للنظر ألا وهي (المفارقة) فقد رصدنا تسعاً وثلاثين مفارقة في اثنتين وعشرين مقطعة شعرية على الرغم من تفاوت عدد ابیات هذه المقطعات بين البيت الواحد والستة عشر بيتاً.

لكن قبل الخوض في غمار هذا البحث لا بد لنا ان نمر مروراً سريعاً على حياة الشاعر للتعرف به.

فهو بشر بن منقذ أحد بني شني بن أقصى بن عبد القيس^(١) وكنيته أبو منقذ، وقد وصفه بعض النقاد بأنه شاعر محسن ، ويراه ، البعض إنه من فحول الشعراء الإسلاميين، بل أنه فاق أهل زمانه وسمي بالأعور لبيت شعر قاله^(٢)، لقد امتاز شعر العبدي بالحكم والقيم والنصائح ، ورؤية الواقع المعاش^(٣).

المفارقة لغة واصطلاحاً:

لابد لنا من التعريف بـ(المفارقة)، لا سيما وأنها غابت مفردة في الدراسات العربية القديمة على الرغم من تناولها مصطلحات نستطيع القول إنها أنماط إنتاجية عنها. إذاً ما المفارقة ، وكيف نستطيع تحديدها؟ من خلال سياحتنا في المعجمات العربية قديمها وحديثها، نخلص إلى أن المفارقة هي الفرق والأفتراق والفصل والتباعد والتباين والتمييز بين شيئين أو امرين أو موقفين... لاسيما إذا كان هذان الامران على طرفي نقيض، أو أحدهما خلاف الآخر، أو بالضد منه... ولعل هذا المعنى يبقى أحادياً، ما لم يردف بالمعنى الاصطلاحي بالمفارقة حتى يستقيم طرفا المعادلة - اي المفارقة من كلتا زاويتي الرصد^(٤).

وبحصر المعان والدلالات والمفاهيم قديمها وحديثها عن معنى المفارقة الاصطلاحي نصل إلى إنها ((أسلوب بلاغي عالي التقنية، أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين، متعارضتين متضادتين، بين مفهوم عام شائع واخر ذاتي فكري ، وكلما أشد التضاد بينهما برزت المفارقة، مما يضيف الوضوح والإيجاز والجمالية على النص الأدبي عامة والشعر خاصة من جهة، وما تؤديه من دلالات أو معان عدة من جهة أخرى شرط أن تستفز ذهن القارئ وتحفزه لتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود للشاعر))^(٥).

تلقائياً أخذت المفارقة أهميتها المميزة في الشعر العربي من خلال حتمية دراستها ظاهرة أسلوبية وبلاغية في الدراسات النقدية الحديثة. وأصبح الناقد والباحث أكثر ادراكاً لرصد هذه الظاهرة ومعالجتها وسبر اغوارها المملوءة بالتناقض الذي يرسم هيكليتها البنائية وصوغ فكرتها الإنسانية، وكشف عوالمها من خلال رؤيا التلقي والتأويل، ويجب ان ندرك ان المفارقة تنمو بين ما يقال وما يفهم ، كما ان أدراك قوانينها الإنتاجية ودور آليات توليدها للمعنى المفارقي جاء من عملية اختيار تحتمل التأويل وتدعو الى التداعي في فهم موقفين او

مفهومين او اكثر يحملهما اللفظ، او الترابط بين الألفاظ لعلاقة ضرورة او شبه ضرورة.

المفارقة في شعر الاعور الشني العبدى:

المفارقة في شعر العبدى تمثل فضاءً تكوينياً شاسعاً يعبر عن كتلة من العواطف الملتهبة والرغبات والأحلام والذكريات الخاصة، فجاءت قصائده تفاعلية في ابراز المفارقة، والأخذ بأمكانية أستيعاب المعاني القديمة في دائرة الحديث دون انتهاك لصياغتها المألوفة.

وفي رصدنا للمفارقة عند العبدى نجدتها تتشظى إلى (لفظية، موقفية، درامية، كونية) وهنا يكون لتفاعل المتلقي ووجهة نظره وضرورات أستجاباته الجمالية وفاعليته التأويلية وذخيرته المعرفية أهمية كبرى في استيعاب المفارقة وفهمها فنياً داخل النص، وأختلاف المقاصد الكامنة وراء مقامات التواصل فيها، مقدمةً توسعاً للمعنى الدلالي، لإن المفارقة بحد ذاتها هي أقرب إلى الأثارة والتساؤل وفتح باب الشك لزوايا مختلفة وأختلاف المقاصد الكامنة وراء مقامات التواصل فيها، مقدمةً توسعاً للمعنى الدلالي، لإن المفارقة بحد ذاتها هي أقرب إلى الأثارة والتساؤل وفتح باب الشك لزوايا مختلفة في النص، كما إنها تظهر قدرة الشاعر او المبدع على إيقاظ الشعور بالجمال في النفوس، لانها تقدم معايير مغايرة في السياق لتأسيس مفهوم يجمع بين متباعدين ويمثل وسيلة إبداعية، ومعياراً تواصلياً يبعث على الدهشة ويفتح ابواب التأويل في اقامة علاقات غير منطقية ومد فضاء التلقي والتأويل وأحداث التأثير غير المنتظر، ويوجد علائق وإنتماءات للألفاظ وتحيلها الى مجالات خطابية مختلفة في قالب جمالي يستوعب تلك الألفاظ.

تقوم المفارقة عند العبدي عبر تحويل الواقع اللغوي إلى مضمون في شكل فني يتم من خلاله إقامة علاقة بين اللغة وتركيبها وما تعطيه من غموض وإيهام تستمد منهما التباين الظاهر وتجمع في الوقت نفسه الأنسجام والائتلاف بما تخلقه من فكرة تذكيتها. ضمن أساليبها المحققة ، لوصفها مجموعة خصائص في الخطاب المفارقي ولإيجاد قناة موصلة تفسر عمق فكرتها وسعة افق مبدعها وما تخلقه الفكرة من ربط بين الظرفة والجمال في تتابع سياقي دلالي قد يشكل في بعض الأحيان معادلاً عاطفياً لفكرة المتلقي وأحاسيسه بواسطة منبه أسلوبية يحتويه جسد النص، لأن ((غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الأثرية))^(٦)

والحقيقة إن الشعرية في مفارقات العبدي تنهض على تفاعل الدلالة المعجمية مع الدلالة الإيحائية، فيتولد عن هذا التفاعل التضاد والأندهاش واللامألوفية في احتشاد الدلالات على نحو غير متوقع يؤزم العلاقات بين المفردات، فيمنح النص منطلقاً مغايراً للمألوف ويتألق شعرياً.

ونستطيع إن نفصل القول في مفارقات الشني العبدي بأنواعها الآنفة الذكر والتي تترجم قولنا المتقدم، فأولها المفارقة اللفظية، ونجدها في قوله:

وأنت وهذان حتى الممات بمنزلة السمع بعد البصر^(٧)

يخاطب الشاعر الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في بيته هذا، حيث بدأ بالضمير (أنت) وهو دلالة على المخاطب المفرد ، وعطف عليه أسم الإشارة (هذان) وهو دلالة على المثني، واعطى منزلة السمع لولديه (عليهما السلام)، ثم اعطاه منزلة البصر على الرغم من تقدم البصر على السمع، إلا إنه أورد الأقل منزلة اولاً ، ثم الأعلى منزلةً، لذا فهو قد قابل (أنت / هذان)، (السمع / البصر) فلكل لفظة ((مجال في التأثيرات الممكنة يختلف طبقاً للظروف

التي توجد فيها... والتأثير الذي تولده الكلمة فعلاً عبارة عن توفيق بين أحد تأثيراتها الممكنة والظروف الخاصة التي توجد فيها^(٨).

من هنا تكون المفارقة الشعرية انفتاح النص بآلية (ثنائية المداخلة)، وهذا ما أوجد رابط بين قصدية النص وفهم المفارقة دلاليًا، مما أعطى نسيج النص أثرًا إيحائيًا متمركزًا في كلماته المضطربة أثناء تتابعه في السياق العام، دون أغفال وظيفتهما التأثيرية الأنفعالية.

وفي قوله:

يخبرنا الناس عن فضلكم وفضلكم اليوم فوق الخبر^(٩)

الخطاب موجه إلى آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونجد الشاعر قد قابل بين (يخبرنا الناس / فوق الخبر)، لقد أستخدم الشاعر لفظة (الخبر) في موضعين مختلفين، لكن بنسج ابداعي متفرد إذ أخذ أحدهما نقيض الآخر، على المستويين اللغوي الذي يمثل المغايرة، والدلالي الذي يتصل بالمعنى، لتلائم الصورة ضمن ميكانيزمية خاصة لتحقيق الإندهاش في علاقة أستبدالية للمعاني. والحقيقة إن ارتكاز المفارقة على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر من ارتكازها على العلاقة النغمية أو التشكيلية^(١٠)

وفي أنتقالة إلى قوله:

أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه

حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا^(١١)

لقد قابل الشاعر هنا بين (الدين / الدنيا)، ونعلم ما الدين، فهو العمل الصالح، والرقي في السلوك والخلق لنصل إلى الآخرة المنشودة، ونعلم ما الدنيا، وما فيها

من مغريات وأطماع وآمال وأموال تجمل الحياة وتدفع بالإنسان إلى التشبث بها، ومع ذلك، فقد كان الدفاع عن الدين والدنيا، وهنا أعطانا الشاعر دورة مفارقة متفجرة الحياة، تحمل إمكانات شعرية تؤسس لفضاء رحب من الأغراب والتميز يبعث على اللذة وتجاوز معايير الجماعة الرتيبة إلى معايير جديدة تعتمد الفكر وأستقلالية البيت الشعري ودلالته الإيحائية التأثيرية وخصوصية مايرمي إليه.

وفي قوله:

على حين إن زلت بنا النعل زلة

ولم تترك الحرب العوان لنا فحلا

وقد أكلت منا ومنهم فوارساً

كما تأكل النيرانُ ذا الحطب الجزلاً^(١٢)

المفارقة في التركيب والدلالة تعتبر تفاعل بين الإنسان ولغته التي هي وجوده وتكامله في الأيحاء والتأثير من جهة والتفاعل بين الإنسان وواقعه من جهة أخرى ، كل ذلك أنتج دلالات في تشاكل لفظي عن طريق العلائق الأسنادية في تركيب المفارقة، لذا نجد الشاعر قد قابل بين (منا/ منهم) ثم قابل بين (الموت) متمثلاً بالشطر الأول و(النيران) كما في الشطر الثاني عن طريق فن التشبيه ، فكان تشبيه لقطعة حياتية بلقطة حياتية أخرى، فأفرزت المفارقة صورة حياتية قدرية لفظية مخيفة في آن واحد. والأمر يعود إلى ان ((قوة المنافرة تتناسب مع شدة تغيير المعنى الضروري لنفيها، أي تتناسب مع المسافة الفاصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي))^(١٣) . فالنقلات الجمالية واحدة من الأرقام الصعبة في لغة الأدب والتي تكون ((اكثر قدرة على التعامل مع ما يقوله الناس او ما

يفكرون، وبين ما يعتقد وما هو واقع... وهذا بالضبط هو المجال الذي تنشط فيه
المفارقة^(١٤) وما تتصف به مفارقات الشني العبدى اللفظية.

وفي انتقاله إلى المفارقة الدرامية، سنتوقف عند قول العبدى:

وإن تنظروا شزراً إليّ فإنني أنا الأعور الشني قيد الأوابد^(١٥)

نلحظ كفاءة عالية في إعادة إبتكار لغة متطورة من خلال نسج علائق لغوية
جمالية وفق بلورة هندسية تتبثق عن فكرة فردية مهيكلة وفق مستوى إبداعي مميز
فقد أصبغ البيت بالصبغة الدرامية التي تبدأ برنم طبيعي هاديء ثم تأخذ بالتدفق
الذي يتصاعد حتى تخلف أثراً هائلاً من خلال مقابلة (وإن تنظروا شزراً إليّ)
/ (فأني أنا الأعور الشني) ولكنه ليس بأي أعور وإنما هو قيد الأوابد، وهذه
الصناعة المفارقة شديدة الكثافة تختزن محتوى عميق من الوعي والفن والخيال
مما يضع هذه المفارقة الجميلة الصناعة في المنطقة الواقعة بين الأبداع الرفيع
المستوى، والقراءة الخلاقة التي تتصف بالأضاءات النقدية والرؤية الفنية، وهي
قراءة لا يجيدها الا قاريء ذو إدراك عالي وثقافة حاضرة ذلك إن الشعرية لا تكون
على الصعيد اللغوي الصرف أو مكوناته الجزئية فحسب، وإنما على صعيد الرؤى
الإبداعية الكلية او المواقف الفكرية التي يتجسد النص من خلالها^(١٦) .

ونقرأ في ديوانه قوله:

إذا صحبتني من أناسٍ قوارص

لأدفع ما قالوا منحتمهم حقرا

ولا كأننا كالعنز تنضو لحينها

وتحفر بالأظلاف من حنقها حفرا^(١٧)

نلاحظ إن البيت قد ضم دلالات فنية وأخلاقية كثيفة وعميقة، تصور لنا إن الحياة قائمة على الصراع والهيمنة الأنفعالية التي تتسم بالعدائية، ولكن الشاعر قد صاغ من هذه العلاقات النفسية اللغوية الأنفعالية نص مشبع بالعاطفة والرضا والأطمئنان، وأخرج الشعور الأنفعالي العدائي من الحيز الفردي الضيق المريض إلى الحيز الإنساني الخلقى الواسع من خلال شاعرية الذات الإبداعية للشاعر، فأنتج مفارقة درامية توطرها المتناقضات إذ قابل في البيت الأول بين (أناس قوارص) // (منحتهم حقرا) ثم قابل في البيت الثاني (ولا كائناً كالعنز تتضو لحيتها) // وتحفر بالأضلاف من حنقها حفرا).

هنا يترجم الشاعر معاناته الاجتماعية إلى سلوك قياسي عقلي ثابت مثقل بالدلالة الفنية والخلقية ويتفاوت في الكثافة التناقضية وفقاً لما يراه القارئ، فنقل العالم الأنفعالي المحسوس إلى عالم فني خلقي إبداعي أوصل المبدع إلى مبتغاه.

ونسلم لقول الشاعر:

ومن يقترب خلقاً سوى خلق نفسه

يدعه وتغلبه عليه الطباع

وأدوم أخلاق الفتى مانشاب به

وأقصر أفعال الرجال البدائع^(١٨)

معنى مألوف أو حقيقة ثابتة رصدها خيال الشاعر وصاغها، بأسلوبية وفنية لها خصوصية تظهر مقياس شاعريته، ومن اطلعنا على الدراسات الفنية للنصوص الأدبية وجدنا أن بعض هذه الألوان ماثورة هنا أو هناك داخل النصوص، ولكنها تتمايز بأسلوبها التركيبي بعضها عن بعض ولفظة (يدعه) التي

وصف بها خلق الرجل الذي هو في الأصل ليس من طباعه، تجاوزت النمطية التي ألفناها في نصوص لها المعنى نفسه، فأفرز مفارقة درامية من حيث المعنى والأسلوب فنجده قابل بين (ومن يقتزف خلقاً سوى خلق نفسه) // (يدعه وتغلبه عليه الطباع)، ولكن من الجمال إنه عزز مفارقتة الدرامية الأولى بمفارقة درامية ثانية في البيت الذي يليه ولا تقل جمالاً أو نضجاً معنوياً عن البيت الذي يسبقه ، فكانت مفارقتة ((ناتجة عن إدراك عنصر نصي متبوع بعنصر غير متوقع)) (١٩).

او معنى يريد أثباته في ذهن المتلقي بفاعلية كبيرة تسمح بتداخل الصور تفرز إرادة تعبير وقوة العلاقة وتجذرهما بين المعنى واللفظ بصياغات ملونة موحية ويقول في موضع اخر من ديوانه:

وإن الشام قد نصبوا إماماً من الأحزاب معروف النفاق (٢٠)

يبدو إن اهل الشام في هذا البيت قد عدلوا عن تطابق المؤلف وابتعدوا عن الأعراف والعادات السائدة في ذلك العصر بشأن الأمام او الأمير إذا اتخذوا معاوية أميراً للمؤمنين على الرغم من معرفتهم الشخصية به، فأنتج هذا الأمر مفارقة درامية ربما لا تتصف بالجمال ولكنها غريبة أنذاك ومازالت، وقد قابل شاعرنا بين (نصبوا إماماً) // (معروف النفاق) فالمفارقة الشعرية هنا درامية نقية معتمدة على العلاقات الكامنة في النص والواقع، لأنها تتحدث عن واقع قائم في عصر الشاعر، ويقف فهم المفارقة الدرامية هذه على المخزون الفكري والمعرفي لدى المتلقي.

تُعرف المفارقة على إنها مؤشر أسلوبية ومنتعة جمالية خاصة إذ تنوعت وشكلت من ألوان متعددة، ولذا سنمر على المفارقة الكونية في ديوان العبدى ونقرأ قوله:

ونيلُ السِّمَّكِ أَقْرَبُ مَنْ ذَا

ك ونجم العيوق والعواء^(٢١)

ذكر الشاعر السمك والعيوق والعواء وهي نجوم معروفة لدى العرب، وقابل بينها من حيث بعدها الشديد عن الأرض ونيل بيعة معاوية أو اطاعته لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فكان قرب هذه النجوم ممكن الحصول، ولا يمكن لمعاوية إبداء الطاعة لعلي (عليه السلام)، أمتلك البيت تقنيات الأسلوب المفارقي ومحاولات في تحليل الواقع ورصد مشاهدته، وقد تكون هذه مفارقة سهلة الصياغة، واضحة المعنى، ولكنها تكشف التفرقات السياسية والواقعية آنذاك بطريقة تشد الأزواج المتناقضة، المؤلف واللامأوف، الحضور والغياب، فأنتهى الأمر بإفراز هذه المفارقة الكونية.

وفي موضع آخر من الديوان نقرأ قوله:

أبا حسن أنت شمسُ النهار وهذان في الحادثَاتِ القمرُ^(٢٢)

نلاحظ التمثيل الرمزي للأفكار المجردة في هذا البيت الذي بحث في وظيفة اللغة الشعرية الإسلامية على قدرتها في إنتاج سلسلة من المستويات المتوازية والمتناقضة في آن واحد، مما أنتج مفارقة كونية ظاهرة من مقابلة الشاعر لـ (الشمس) / (القمر)، (النهار) / (الحادثَاتِ)، ثم هناك التقابل الخطابي، فقد قابل (أنت) في الشطر الأول ب (هذان) في الشطر الثاني. فمفارقة البيت الكونية اعتمدت على تقابل كوني وآخر خطابي مستندة إلى فن التشبيه الذي وظف جميع أركانه لإبراز هذه المفارقة كون الشاعر ((لا يعبر عن افكاره ومشاعره تعبيراً مباشراً بل يبحث عن أشياء أخرى تعادلها او تنوب عنها في نقلها إلى القارئ))^(٢٣).

ونعرج على المفارقة الموقفية عند العبدى، لنقف عند قوله:-

يأُمُّ عَقْبَةَ سَمْعاً إِنِّي رَجُلٌ

إِذَا النَّفْسُ ادَّرَعْنَ الرَّعْبَ وَالرَّهْبَا

لَا أَمْدَحُ الْمَرْءَ أَبْغِي فَضْلَ نَائِلِهِ

وَلَا أَظْلُ أَدَارِيهِ إِذَا غَضِبَا

وَلَاتَرِينِي عَلَى بَابِ أَرَاقِبِهِ

أَبْغِي الدَّخُولَ إِذَا بَوَّابَهُ حَجْبَا^(٢٤)

نلاحظ ان الصفات الشخصية للشاعر أفرزت سمات فردية للنص الشعري بأسلوبه الخاص مجسداً الرؤيا الإبداعية والمضامين الفكرية فضلاً عن استخدامه للغة بدراية عالية ، فكل لفظة مثلت لبنة من لبنات البناء الموقفي لشخصية الشاعر التي خرجت على شكل مفارقة عندما قابل بين ((لأمدح المرء أبغي فضل نائله)) / (ولا أظل أداريه إذا غضبا) ثم في البيت الثاني بين (أبغي الدخول)) / (بوابه حجباً)، فالمفارقة الموقفية هنا لا تمثل فردية الشاعر فقط بقدر ما تمثل البعد الأخلاقي العربي الأصيل ايضاً، ولكن وفق تركيبته النفسية والحياتية ، في عصر عصفت فيه الخلافات الدينية والسياسية والأطماع الشخصية، ولكن شاعرنا ثابت الموقف والعقيدة وهذا بحد ذاته مفارقة موقفية أخرى؛ لكنها لعصره وليست له، فهو فيها عنصر مكون وليس محوراً كما في المفارقة الأولى، وهذا يدل على التأثيرات المكانية والزمانية التي هيمنت على الفكر والسلوك الأنساني في لحظة وعي تساوقت مع تمفصلات حضارية ومعتقد عميق وموقف ثابت. وهذا يدل على إن ((النصوص متغيرة متحركة على الدوام رغم قدمها))^(٢٥).

وننقل أيضاً قوله:

معاوي أكرم خالد بن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمر^(٢٦)

خالد بن معمر ((من خيار أصحاب علي بن ابي طالب(عليه السلام) وقاتل معه في صفين وعندما قتل الأمام وأستوثق الأمر لمعاوية، قدم إليه فأكرمه)) (٢٧). هنا مفارقة موقفية صريحة لكن لا يدركها المتلقي إن لم يمتلك خزيناً معرفياً لأحداث ذلك العصر، والمفارقة تكمن في ثلاثة مواقف انقلابية إن صح لنا التعبير، الأول وهو المحوري موقف خالد بن معمر، لأنه كان مقاتلاً في جهة ثم انتقل إلى الجهة المعادية، ثم موقف معاوية الذي تغير بناءً على تغير موقف خالد، ثم موقف الشاعر الذي يخاطب معاوية بهذا الخطاب الذي تستشعر منه وجود حوار فيما بينهم.

كما إننا رصدنا مزوجة جميلة بين المفارقة الموقفية والمفارقة الدرامية خارجاً النص بمفارقة سمينها (موقفية درامية) كما في قوله:

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو أنه إذ قالها قلت مثلها ولم اغفرها أورثت بيننا غمر
فأعرضت عنه وأنتظرت به غداً لعل غداً يبدي لمنتظرٍ أمرا^(٢٨)

لاحظ المقابلات في هذه المقطعة (عوراء)// (سالمة العينين)، (أخ)// (فرددتها) وهنا المقصود ضمير المتكلم (أنا)، (إذ قالها)// (قلت مثلها)، (وأنتظرت به غداً)// (لعل غداً يبدي لمنتظرٍ أمرا) هذا التقابلات الموقفية التي زج بها الشاعر في نصه أكسبت النص وعياً إنسانياً جديداً وأعطاه صبغة فكرية نابغة من التجربة الأنفعالية التي يوظفها العقل بخزينه الثقافي والموضوعي، الشاعر في صناعته

هذه خاضع للحالة الشعورية والنفسية التي تلف اللحظة الانية المعاشة وهذا التماهي بين الذات الأنسانية الراقية والروح الجماعية تمثل صورة من صور العفو وكظم الغيظ وهي ركيزة من ركائز العلاقات الاجتماعية التي أوصى بها الدين، لا ننسى أننا نتحدث عن شاعر من شعراء العصر الأموي ، فكان للنص وظيفة إيحائية ضمن سياقات وأجواء درامية من زوايا متعددة، ربما الغرض من ذلك المبالغة وإحداث أبلغ الأثر بصيغة الاستقلال المفارقي مرة، او التداخل الموقفي الدرامي مرة أخرى. وهذا يدل على روح طموحة وقدرة تخيلية على النسيج عند الشاعر مغلف بكرم الخلق ورفعته السلوك ، فكانت المفارقة هنا ((ضرب من التأنق هدفها الأول إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيراً)) (٢٩).

ندرك تماماً إن الالفاظ صورة مرئية للمعنى الذهني والفكري، ونحن بصد الحديث عن مفارقة شعرية مرتبطة بالأبداع الفطري واللغة الشعرية، لذا تكون الصنعة في هذا الحيز خاضعة للحالة الشعورية والنفسية التي تؤطر المقطعة الشعرية مما يجعلها أكثر قبولاً وأسهل أدراكاً لكونها مستمدة من صيغ بناء التضاد او التقابل ، فتتعدد أنواعها وتكثر تفرعاتها وقد تختلف مسمياتها حتى صار كثير منها مربكاً للدارسين.

لذا نجد إن الشاعر العبدي وعبر خياله الخلاق أستطاع إن يوجد صلات بين أشياء تبدو لا صلة بينها أو متباعدة واضعاً كل ذلك في إطار مفهومي يمتلك شرط الملاءمة وخصائص الصوت والمعنى المتشظي في مناخ متبادل من التنوع والضغط والتعقيد، موجداً طريقة طبيعية أنسيابية لتجاوز المأزق اللغوي ، او حتى الواقعي تتمثل في وضع فكرة تقليدية توافق الأختبارات المعيارية التي نفترضها التجربة الشعورية وهذه المفارقات في شعر العبدي لا يمكن أستيعابها في حدودها الفنية التقنية فقط بل هي بحاجة إلى امدادات فلسفية فكرية عميقة تعود إلى فهم عقلائي للشعر العربي القديم والواقع الإسلامي أبان الحكم الأموي.

كل هذا اعطى العبدى القدرة التميزية في التشكل والتمكن والتي تتسم بقدر كبير من السيطرة على أدوات اللغة وحسن توظيف لها.

عمل يستحق العرض والتحليل، لأن المفارقة في شعر العبدى تتأرجح بين التحليل والتأويل مقدمة إضاءات نقدية ورؤية فنية طموحة خالية من التفاصيل والزوائد حاملة في الأصل لحدس خصب يمثل الطريق الواقع بين الإبداع والقراءة، وأيجاد تفاعل بين القراءة الحديثة والشعر القديم.

إن مايسوغ الدراسة في المفارقة مجالاتها الواسعة وعمق ثيماتها، وأيجاد أنسجامها وروابطها وجمالياتها الفاعلة وتكوين حوار بين ثقافتين وفكرين يمثلان أدب أمة وإضافة حلقات تواصلية لفهم وأستيعاب وتحليل التراث، وإعادة الحياة لخصوصيتها والكشف عن حقائقها بالأستقراء والتحليل لبيان عمقها الفلسفي، وأشعال جذوتها في عملية تلقي حديثة للنصوص القديمة.

الهوامش

- (١) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق: احمد شاکر ، ج ٢ ، ص ٦٣٩
- (٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، ج ٢، ص ٦٤٠.
- (٣) المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٦٤٠
- (٤) المفارقة في الشعر الجاهلي، دراسة تحليلية، ملاذ ناطق علوان، ج ٢، ص ٦.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (٦) الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب ، د. عبد السلام المسدي، ص ٣٥.
- (٧) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي ، جمع وتحقيق د. عبد الحميد المعيني، ص ٢٠.
- (٨) مبادئ النقد الأدبي ، أ.أ. ريتشاردز ، تحقيق، مصطفى بدوي ، ص ١٩١.
- (٩) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي، ص ٢٠.
- (١٠) المفارقة، د. نبيه أبراهيم، مجلة فصول ، ع ٣/٤ / ١٩٨٧م، ص ١٣٢.
- (١١) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي ، ص ٢٧.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ٣٠
- (١٣) بنية اللغة الشعرية، جان كوهين ، تحقيق، محمد الولي ومحمد العمري، ص ١٢٥.
- (١٤) المفارقة وصفاتها ، دي. سي ، ميويك، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، ج ١٣، ص ١٥.
- (١٥) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي، ص ١٨.
- (١٦) في الشعرية ، كمال أبو ديب، ص ٤٣.
- (١٧) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي، ص ٢٢.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (١٩) البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سينمائي لتحليل النص، ص ٣٣.
- (٢٠) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي ٢٦.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٠
- (٢٣) سيموقيطيا الشعر، ص ٥٦.
- (٢٤) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي ، ص ١٧.
- (٢٥) معايير تحليل الأسلوب ، ص ٩.
- (٢٦) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي ، ص ١٩.
- (٢٧) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٩.
- (٢٨) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (٢٩) المفارقة في كافوريات المتنبي، قراءة في نصوص مختارة ، ص ١١.

المصادر والمراجع

- ١) الأسلوبية والأسلوب ، نحو بديل السني في نقد الأدب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م.
- ٢) الأمالي للقاللي، ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ-)، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠، ج ٢.
- ٣) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ،هيريث بليست ، ترجمة محمد العمري ، د ت .
- ٤) بنية اللغة الشعرية، جان كوهين ، ت ، محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ط ١، ١٩٨٦ .
- ٥) جمهرة انساب العرب، الخالديان، ابو بكر محمد وأبو عثمان سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٦) سيموقيطيا الشعر- دلالات القصيدة ، ميكائيل ريفاتير ، تحقيق: فريال جبوري غزول ، ضمن كتاب انظمة العلاقات في اللغة والادب والثقافة ، مدخل الى السيموقيطيا، اشراف فيزا قاسم ونصر حامد ابو زيد ، شركة الياس العصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٦ .
- ٧) شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي، جمع وتحقيق د. عبد الحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، ٢٠٠٢.
- ٨) الشعر والشعراء لأبن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري(٢٧٦هـ-)، شرح وتحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م .
- ٩) في الشعرية، كمال ابو ديب ، مؤسسة الأيمان العربية ، بيروت، ط ١، ١٩٨٧.
- ١٠) مبادئ النقد الأدبي ، أ. أريتشاردز، ت مصطفى بدوي ، مطبعة مصر ، ١٩٦٣م.
- ١١) معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، تحقيق: د. حميد الحمداني، البيضاء ، دار النجاح الجديدة ، منشورات دراسات سال ، ط ١ ، ١٩٩٣م .
- ١٢) المفارقة/ د. نبيه ابراهيم، مجلة فصول، ع ٣/٤/١٩٨٧م .
- ١٣) المفارقة في الشعر الجاهلي، دراسة تحليلية ، ملاذ ناطق علوان، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، ط ١، بغداد، ٢٠١١.
- ١٤) المفارقة في كافوريات المتنبي ، قراءة في نصوص مختارة ، بحث للدكتور عبد الهادي خضير نيشان .
- ١٥) المفارقة وصفاتها، دي. سي ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي، ج ١٣، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، العراق، ١٩٨٣م